مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (26) – العدد (02) (ديسمبر، 2025) -ص 101- 118
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

الأنساق المضمرة في كتاب "سلوان المطاع في عدوان الأتباع" لابن ظفر الصقلي

Implications in thebook "Silwan Al-Mutaa fi Adwan Al-Atbaa" by Ibn Zafar al-Siqilli

رشيدة كلاع ،[1]* جامعة قسنطينة 1 الإخوة منتوري، rachidaklaa@yahoo.fr
https://orcid.org/0009-0006-1609-2052

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
2025-05-11	2025-10-07

ملخّص

يأتي الحديث عن النص السردي القديم ضمن البحث فيما هو سردي وتعالقه مع الثقافي، باستنباط ما تحويه بنيته النصية من أنساق ثقافية خفية ومضمرة تُعبِّر عن البيئة التي أنتج فيها. يسعى هذا العمل إلى دراسة الأنساق الثقافية في كتاب "**سلوان المطاع في عدوان الأتباع**" من خلال البحث فيما وراء جمالية النص، والسياقات غير المعلنة، عن مكنونات الخطاب المستترة في هذه الحكاية، من خلال بحث موسوم: **"الأنساق المضمرة في كتاب "سلوان المطاع في عدوان الأتباع" لابن ظفر الصقلي".** بغية الكشف عن الأنساق المضمرة، التي حوتها حكاياته، بحثا عن المسكوت عنه والمهمش فيه.

عمل ابن ظفر عبر حديث صريح ومضمر على توظيف رموز حكائية مختلفة، راوح فيها بين الحقيقي والخيالي، إلى بيان مفاتيح صلاح الحكم. فجاء كتابه حافلا بجملة من التوريات السياسية التي عبَّرت عن وجهة نظر حصيفة من رجل خبر الحياة. سعيا منه للفت انتباه الحاكم لعله يقدّره، من خلال طابع أدبي مميز عكس مقدرة في التناول والطرح.

الكلمات المفتاحية

نقد ثقافي؛ أنساق مضمرة؛ أشكال سردية؛ سلوان المطاع في عدوان الأتباع؛ ابن ظفر الصقلي.

Abstract

This paper situates the study of an early narrative text within cultural criticism by examining the implicit cultural patterns embedded in its narrative system and the milieu in which it was produced. Focusing on Ibn Zafar al Siqilli's "Silwan al Muta'a fi 'Adwan al Atba'a", the study moves beyond surface aesthetics to investigate unspoken contexts and concealed meanings, with particular attention to what is marginalised or left unsaid. It shows how Ibn Zafar mobilises a range of narrative symbols, oscillating between the real and the imaginary, to articulate keys to sound governance. The analysis also highlights the text's political allusions, which reflect the author's informed perspective and aim to alert the ruler through a distinctive literary mode that combines persuasion with narrative craft.

Keywords

cultural criticism; implicit patterns; narrative form; Soloan Al-Mutaa in the Aggression of the Followers; Ibn Zafar al-Siqali

*المؤلف المراسل

- مقدّمة

عرفت مناهج النقد الأدبي خلال العقود الأخيرة تحولات نوعية؛ حيث انتقلت من التركيز على البنى النصية المغلقة إلى الاهتمام بما تحمله النصوص من دلالات ثقافية وأبعاد اجتماعية تتجاوز حدود الجماليات الشكلية. وظهر النقد الثقافي في هذه الظروف بوصفه آلية قرائية تهدف إلى تفكيك الأنساق الثقافية المضمرة في الخطابات الأدبية، سعيا منها للكشف عن العلاقات المتشابكة بين النص ومحيطه الثقافي.

وتندرج هذه الدراسة ضمن هذا الإطار المعرفي؛ إذ تتناول بالنقد والتحليل كتاب "**سلوان المطاع في عدوان الأتباع**" لابن ظفر الصقلي، بوصفه نصًا تراثيًا حافلًا بالحكايات التي تتجاوز ما يبوح به ظاهرها القصصي إلى التلميح إلى مضامين سياسية واجتماعية عميقة.

وتهدف الدراسة إلى رصد الأنساق الثقافية المتوارية خلف جمالية النّص الأدبي، من خلال توظيف منهج النقد الثقافي، بوصف آلياته قادرة على تأويل الخطابات المضمرة والمسكوت عنها.

وتنطلق الإشكالية الرئيسة لهذا البحث من التساؤل التالي:

كيف يسهم النقد الثقافي وأدواته الإجرائية في الكشف عن الأنساق الثقافية في النص الأدبي التراثي؟ وهل شكّل الترميز ستارًا لأنساق غير معلنة حرص الأديب على تمريرها عبر حكاياته؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية، من أبرزها:

- ما مدى نجاح ابن ظفر الصقلي في توظيف نظام الثنائيات للكشف عن التناقضات التي تعكسها حكاياته؟
- كيف أسهمت التقابلات الدلالية في دعم البنية التأويلية للنص؟
- بأي شكل عبّر النص عن معاناة الذّات في علاقتها بالمركز والهامش؟
- ما مدى تأثير المعطيات الزمكانية والثقافية في تشكيل النسق السردي داخل "السلوانات"؟
- هل أدّى امتزاج الحكاية الشعبية بالخرافة إلى بناء حكائي متكامل يُعبّر عن المسكوت عنه اجتماعياً؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، قسم البحث إلى شقين: يتناول الأول الإطار النظري لمفاهيم النقد الثقافي، والنسق، ووظيفتهما ضمن القراءة التأويلية للنصوص، في حين يُعنى الشّق الثاني بتحليل الأنساق الثقافية المضمرة في كتاب **سلوان المطاع**، بالتركيز على البنى الحكائية والتورية والرموز التي اعتمدها المؤلف في تمرير خطابه السياسي والاجتماعي.

- مفهوم النقد الثقافي

يُعدّ النقد الثقافي من أبرز المسارات التحليلية التي برزت في سياق ما بعد البنيوية، إذ أوجد لنفسه موقعًا خارج الأطر التقليدية للمناهج الأدبية، موسعا دائرة القراءة لتشمل الأنساق الثقافية والاجتماعية الكامنة خلف النصوص، لا سيما تلك التي تتوارى خلف أقنعة جمالية أو بلاغية.

تشكل الثقافة في النصوص الأدبية وسيلة وأداة في الآن ذاته: «بوصفها آلية مولدة، ليست مجموعة من النّصوص في وضع موضوعي، أو غير مرتب. وإنّما هو ترميز وتنظيم (نسق الأنساق)، ونمذجة. كما أنّها لا تعين إلاّ من خلال العلاقات أو الدّلائل والتدليل»[1] ، (ماريا و بوثويلو، 1991،

صفحة 85) والبحث في هذه الأنساق مجاله الأشياء غير المادية. فالقارئ مطالب باستقصاء أشياء تشكّل هوية الذّات وعنصر تميّزها داخل تلك النّصوص.

غير أننا لا نعثر على تعريف محدد وثابت للنقد الثّقافي، فقد قيل إنّه: "نشاط فكري يتخذ من الثّقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره، ويعبر عن مواقف إزّاء تطوراتها وسماتها"[2]. (الرويلي و البازعي، د ت، صفحة 305). ويتركز اهتمام النقد الثقافي حول طُرق تموضع هذا النشاط وأشكال حضوره في مختلف الخطابات المعبر عنها.

أما الغدامي فيرى أنّ «النقد الثقافي هو فرع من فروع النّقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللّغة وحقول (الألسنية) معنيّ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثّقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي، وما هو كذلك سواء بسواء ...وهو لذا معني بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النّقد الأدبي، وإنّما همّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي، وكما أنّ لدينا نظريات في الجماليات، فإنّ المطلوب إيجاد نظريات في (القبحيات) لا بمعنى البحث عن جماليات القبح، مما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه، وإنّما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحس النقدي»[3]، (الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، 2005، صفحة 83، 84) فمجال بحث النقد الثقافي هو النّص الإبداعي، بالتركيز على ما يحويه هذا النّص من جوانب ثقافية متعددة، تأتي مبثوثة بين ثناياه، تحت غطاء أدبي جمالي، يُتفنن في رسم معانيها وصورها.

كما يؤكد قنسوة أن النقد الثقافي ليس حكرًا على النصوص الأدبية، كما أنّه: «ليس فرعا أو مجالا متخصصا بين فروع المعرفة ومجالاتها، بل هو ممارسة أو فاعلية تتوفر على دراسة كل ما تفرزه الثّقافة من نصوص، سواء أكانت مادية أم فكرية. ويعني النّص هنا كلّ ممارسة قولا أو فعلا تولّد معنى أو دلالة"[4]، (قنسوة، 2007،، صفحة 11) ما يجعل منه أفقا معرفيا تتلاقح فيه الأفكار مع الأدب والسياسة وغيرها. ومن ثم فهو واحد من أشكال ربط النّص بمحيطه الثقافي، وما يفرزه من معطيات تتحكم في طرحها شخصية الناقد وثقافته.

إنّ مساءلة النّصوص بحثا عن أشكال الاختلاف وصور الهوية، الراسخة في لا وعي الأديب، أمر كشف عنه التحوّل في آليات الدراسة، بجعل الثقافة مادة للتحليل.

- مفهوم النسق

يُعدّ مفهوم النسق من المفاهيم المحورية في النقد الثقافي، لما له من دور فاعل في الكشف عن البُنى العميقة التي تسهم في تشكيل الخطابات النصية ضمن سياقاتها الثقافية والاجتماعية. وقد تطوّر هذا المفهوم في سياق تجاوز الدراسات الأدبية للبنى السطحية للنصوص، نحو استقصاء الأنظمة الرمزية والدلالية التي تعمل على إنتاج المعنى وتوجيهه.

- **لغة:** يُشير النّسق من الناحية اللغوية إلى التتابع المنظّم بين العناصر؛ حيث قيل: "نسق الكلام: عطف بعضه على بعض. والنسق محركه: ما جاء من الكلام على نظام واحد. والتنسيق: التنظيم. وناسق بينهما: تابع»[5]. (أبادي، 2005، صفحة 925) كما ورد في لسان العرب أنّ: "النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء... يقال ناسَق بين أمرين أي: تابع بينهما»[6]. (منظور، 1990، صفحة 179) ويدل النسق في اللغة على النظام والترتيب بين شيئين أو أكثر.

- **اصطلاحا:** النّسق هو: "نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار هذا النسق[7]» ، (كويزيل، 1993، صفحة 411) فإذا كان النسق نظاما يتحكم في علاقات مجموعة تشترك في خصائص ثقافية معينة، فإنّ محور تركيزه على: «معايير وقيم تشكل مع الفاعلين الآخرين جزء من بيئة الفاعلين»[8]. (Espace_réservé6 صفحة 411). ومنه يتضح أنّ النسق ليس مجرد خلفية خارجية للنص، بل هو مكوّن داخلي فاعل يتبدّى عبر مستويات متعددة من التعبير، سواء من خلال اللغة، أو التمثيل السردي، أو البنية الخطابية.

وغالبا ما يقف النقد الثقافي عندما يختبئ وراء سجع الكلمات، وحسن ديباجة النصوص الأدبية، سعيا منه للكشف عما تحمله من أبعاد ثقافية، تتصل بجوانب حياة الإنسان المختلفة، فـــ: "الدلالة النسقية ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن لتكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتشكل التدريجي إلى أن أصبح عنصرا فاعلا، لكنه وبسبب نشوئه التدريجي تمكّن من التغلغل غير الملحوظ. وظلّ كامنا هناك في أعماق الخطابات. وظلّ يتنقل ما بين اللغة والذهن البشري، فاعلا أفعاله من دون رقيب نقدي لانشغال النقد بالجمالي أولا، ثم لقدرة العناصر النسقية على الكمون والاختفاء. وهو ما يمكّنها من الفعل والتأثير غير المرصود، وبالتالي تظل باقية ومتحكمة فينا وفي طرائق تفكيرنا"[9]. (الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، 2005، صفحة 72) وهذا ما يفسر اتساع نفوذ الأنساق الثقافية لتتحكم في أبسط أمور حياتنا، فتظهر إراديا أو لا إراديا في الأعمال الإبداعية المنتجة.

تتراوح الأنساق بين ما هو ظاهر وما هو مضمر. فالنسق المضمر :"هو طرف دلالي ليس فرديا ولا جزئيا، إنّما هو نسق كلي ينتظم مجاميع من الخطابات والسلوكات -باعتبارها أنواعا من الخطابات- مثلما ينتظم الذوات الفاعلة والمنفعلة، وهذا هو المدلول الأشمل لمصطلح (التورية الثقافية)»[10]. (Espace_réservé7 صفحة 71) فتلك الأنساق المتوارية خلف اللغة، والتي انغرست بفعل التنشئة في لاوعي الأديب تظهر في نصوصه، معبرة عن بيئته ومحيطه. يستفيد الباحث في الأنساق المضمرة من آليات النقد الثقافي للكشف عنها خلف ما هو جمالي في النص الأدبي.

- كتاب سلوان المطاع في عدوان الأتباع

- التعريف بالكاتب

هو عبد اللّه بن محمد بن ظفر الصقلي، المنعوت بحجة الدين. وهو أحد المنتمين إلى حقل العلم والأدب والتراث العربي والإسلامي. ولد بصقلية سنة (497هـــ). كان رحالة يهوى السفر وطلب

العلم. تعددت مؤلفات ابن ظفر، وتنوعت مجالاتها. ففي العلوم الدينية له: "**التشجين في علوم الدين**" و"**أساليب الغاية في أحكام الآية**" و"**ينبوع الحياة**" وهو تفسير للقرآن الكريم. أما في الأدب والشعر فله أشعار رقيقة في الحب، وله أيضا (شرح مقامات الحريري). كما كان أديبا بارعا في القص والحكي، توفي عام (570 هـ). توزع كتابه على خمس سلوانات: التفويض، التأسي، الصبر، الرضا، الزهد.

السلوانة خِرزة "تزعم العرب أن الماء المصبوب عليها إذا شربه المحب سلا "[14] (خلكان، 1995، صفحة 395)

شكّل كتاب "**سلوان المطاع في عدوان الأتباع**" لابن ظفر الصقلي نموذجًا للنص التراثي الذي يمزج بين الأدب والحكمة، وبين الحكاية والمتن السياسي، في إطار سردي رمزي محكَّم. سعى ابن ظفر من خلاله إلى إيصال خطاب نقدي موجَّه إلى السلطة، ضمن أسلوب سردي ظاهره الحِكمة والموعظة وباطنه الرغبة في الإصلاح وكشف مواطن الخلل في بنية الحكم.

يبحث هذا العمل في الأبعاد العميقة التي رمي إليها ابن ظفر الصقلي، بدراستنا للأنساق الثقافية في سلواناته، من خلال بحث موسوم: "**الأنساق المضمرة في كتاب" سلوان المطاع في عدوان الأتباع" لابن ظفر الصقلي**". على اعتبار أنّ: "مقاربة النّصوص السردية في التراث العربي لا يمكن أن تتم عبر فصلها عن تموضعها الثّقافي، في زمن كتابتها وفي زمن قراءتها ومقاربتها بوصفها نصوصا أدبية يجب البحث في أدبيتها فقط، إنّما لابد من الكشف عن التّرابط بين الأدبي فيها والثّقافي العام، المرتبط بالوعي العربي عموما في زمنها (الكتابي والقرائي) لكي تنكشف صورتها الفاعلة والمتفاعلة مع الحفريات السابقة عليها، والمعاصرة لها. ووعي القارئ النّموذجي الذي يلامس إشارتها ويطورها باعتبار المحكيات السردية نصوصا مفتوحة وليست مغلقة"[15] (إسماعيل، 2008، صفحة 11، 12) فالنصوص الأدبية كانت ومازالت مرآة عاكسة للبيئة التي ألفت فيها، وحمولة لعديد الأفكار والأنساق التي قد لا يُصرِّح بها الكاتب، ويُبقيها بين السطور، لا تُدرَك إلا بالقراءة التأويلية الحصيفة.

تحدَّث ابن ظفر عن كتابه قائلا: "وهو كتاب عمدت فيه إلى أمثلة استأثر خواص الملوك ببضاعتها، ومنعتهم الغيرة عليها من إذاعتها. فتوسَّعْت بالتعبير بألفاظي عنها، والتحبير بعلمي لها. والتّفنن بفنون فطنتي فيها. توسعا لا يحظره شرع، ولا ينبو عنه سمع، حتى إذا عادت أهلتها بدورا رائعة ... نفثت في صورها أرواح الأخلاق الزكية، وكسوت جُسومها حلل الآداب الملوكية. وتوّجت رؤوسها تيجان الهمم الأبية. وقلدت عواتقها بسيوف المكايد الحربية. وصدرتها بآي من التنزيل المحكم. وأحاديث عن المصطفى صلى اللّه عليه وسلم"[16]. (الصقلي، سلوان المطاع في عدوان الأتباع، 1995، صفحة 58) فهو إذن كتاب ـ وإن حمل طابعا أدبيا حكائيا ممتعا ـ فغايته الأساس هي الحديث عن أمور السياسة في المقام الأول.

وقد أومأ الكاتب من خلال كتابه/السلوانات إلى حالة عدم الاستقرار التي شهدتها بلاده في تلك الفترة، وأمله في تبدّل الأحوال، وتغيّر الظروف والمعطيات. فكانت غايته من تأليف كتابه: "تجديد الوعي بإمكانية استمرار الدولة وتنظيمها وبنائها على الإيمان، وكذلك تطوير النظم بالاستناد إلى الصورة القديمة المثالية لدولة الخلافة الإسلامية... بإحداث تغيير اجتماعي أخلاقي ضمن حدود قانونية، وفي إطار المسؤولية السياسية والأخلاقية للفرد والجماعة والحاكم والمحكوم"[17]. (Espace_réservé10صفحة 80) فكتاب سلوان المطاع ذو غاية موجهة، إصلاحية في أساسها. فقد هال مؤلفه التمزّق الذي تعيشه بلاده، أمام تكالب أعداء الدّين عليها، فأراد من خلال هذه السلوانات بث الوعي لدى الحاكم من خلال نماذج حكائية تُبرز أوجه التصرُّف الواعي والمتبصّر للحاكم: "فإنّ القص أو العمل الحكائي لا تهمه الأفعال التي تخدم فكرته في الحكاية، وهذه الأفعال لا تلتزم بالضرورة بالزمن الحقيقي، إذ هي نتاج خيال مبدع الحكاية، فزمنها هو زمن القص، وليس الزمن الحقيقي، الذي يلتزمه التسجيل التاريخي عادة. من هنا فإنّ أهمية العمل القصصي ليس في وقوع الأحداث ذاتها، بل في طريقة تقديم هذه الأحداث، وتوزيعها في العمل كله"[18]، (يوسف م.، دت، صفحة 20) وكأنّنا بالكاتب يعيد صياغة الواقع الثقافي، ونقله في صورة فنية جمالية، يسلط الضوء فيها على المسكوت عنه، وعلى المهمش من تلك الأنساق.

ولما كانت غاية ابن ظفر هي تقديم النصح للحاكم في قالب سردي حكائي، فإنّ كل خبر حواه كتابه تحكمه وظيفة مركزية هي خدمة هذه الغاية. لذا بادر الكاتب إلى خلق شخصياته، وتقصِّي: "أفعالها، ومكان تواجدها، وزمنها. ينطلق من فكرة معينة يريد إبلاغها، هذه الفكرة يمكن تسميتها على غرار السيميوطيقيين بـ (المحتوى) أي محتوى الرسالة التي يريد إيصالها، هذه الفكرة المركزية التي يدور حولها الخبر"[19]. (يقطين، 1997، صفحة 35) ويرتبط أداء هذه الوظيفة المركزية الإخبارية بطريقة العرض، التي تتوسل الحكي أداة لها، مُؤثرة التورية في أداء المعاني والتعبير عنها، تجنبا لسخط الحاكم من جهة، وتنويعا في طرق العرض من جهة ثانية.

وقد جاءت النصوص وفق نمط الحكاية التعليمية الرمزية، التي تُبنى على سرد الأمثلة والمواقف عبر شخصيات ذات طابع عام (الملك، الوزير، العدو، الحكيم...)، ما منح السرد انفتاحًا دلاليًا.

ويُشكّل هذا الشكل القصصي أحد أبرز ملامح التمويه السردي، إذ يُخفي الخطاب المباشر خلف قالب قصصي مألوف وممتع، فيمنح الكاتب حرية أكبر في تمرير رسائله السياسية والاجتماعية. وقد استثمر ابن ظفر هذه الحكايات لتأدية **وظيفة نسقية مزدوجة**: جمالية وتعليمية، تُمتّع القارئ من جهة، وتثير وعيه النقدي من جهة أخرى، دون الاصطدام مباشرة بالبنية السلطوية.

- الأنساق المضمرة بين التورية والتأويل

قامت معظم حكايات **سلوان المطاع** على تضاد واضح بين قيَم مثالية وأخرى مرفوضة، تجسد ذلك في ثنائيات متعددة مثل :**الحاكم العادل/الحاكم المستبد، الناصح الأمين/الخائن**

المتملّق، النظام/الفوضى، الذات الحرة/الذات التابعة. قُدِّم التقابل لا بوصفه عنصرًا سرديًا فحسب، بل باعتباره انعكاسًا للنسق الثقافي الذي يوجّه الكاتب نحو بناء رؤية معيارية للعالم.

اعتمد ابن ظفر على التورية لتقديم نقد سياسي واجتماعي مبطّن. موظفا حيلا بلاغية مرر من خلالها رسالة ينتقد فيها السلطة بشكل غير مباشر. تجلت التورية فيما قدمه من أوصاف عامة حول الحاكم والتابع، أين جاءت حكاياته الرمزية مشبعة بالمعاني الأخلاقية، مضمَرة بالنقد لأداء الحاكم، ولسياسته القائمة على الخديعة والمحاباة. من ذلك قوله: "يا صاحبي لا تظنّ أنّ الذين يقتربون منك بالوِّد هم كلُّهم أنقياء، فكم من ثعبان يتخفى في ثوب الحمل. وكم ذئب يلتصق بقطيعك ليمزِّق منك اللُّحمة. لا تجعل قلبك مُغلقا على ثقتك بهم، بل افتح عينيك للنَّظر، ولسانك للتمحيص، ويدك للرَّدع. فمن اتكل على الرِّفاق دون حكمة، جُعل فريسة لسُمِّهم وضربهم" (الصقلي، صفحة 12). فقد قامت استراتيجيته على مخاطبة العقل ظاهريا، فيما خاطب باطنها وعي الحاكم في دعوة للتأمُّل، وفق نقد مبطن تحت ستار من التورية دون صدام معلن أو تمرد ظاهر.

يتيح التأويل تفكيك رموز النص، والوصول إلى حل تلك الرسائل المشفرة حول طبائع الملوك واغترارهم بمن يجتمعون حولهم طمعا وتملقا. حيث تحوَّل على إثرها النّص من خطاب للنصح السياسي إلى سند غرضه بث الوعي الجمعي، والحث على التخلّص من الأنساق السلطوية القائمة؛ حيث رُوهن على ذكاء وفطنة المتلقي في فهم الأبعاد العميقة لهذا الخطاب، وما يتضمنه من تلميح ورمز وتورية.

وقد تعددت الأنساق الثقافية وتنوعت في كتاب **سلوان المطاع**، نذكر منها:

- النسق سياسي

يكشف **سلوان المطاع** عن بنية نسقية عميقة ذات طابع سياسي، تتأسس على تأملات في الحكم، والسلطة، والقيادة، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم. وهذا النسق لا يُطرح في خطابات مباشرة، بل يتسرّب عبر السرد الرمزي، والحِكم، والمواقف التي تخفي رؤى دقيقة حول طبيعة الحكم الرشيد، وشروط القيادة العادلة، وآليات بقاء الدولة أو انهيارها.

وقد توزّع هذا النسق في السلوانات الخمس، ليشكّل إطارًا توجيهيًّا يركّز على **المَلك وخصاله، وتدبيره لشؤون الرعيّة، وعلاقته بالبطانة، وضرورة تحلّيه بالحكمة والعدل، وتفادي الظلم، والانغماس في الشهوات** .وبذلك تحوّل النَّص إلى مشروع فكري يقدّم للسلطة دروسًا وتوجيهات في الحكم من خلال الحكايات.

استهلّ الكتاب بسلوانة "التفويض"، التي تنطوي على تحذير واضح من الإفراط في حسن الظن بالبطانة، مهما كانت درجة قربهم، فـ: "اللئيم كالنّار إكرامها إضرامها، وكالخمر حبيبها سليبها، وتبيعها صريعها. وكان يقال: إذا كانت الإساءة طبعا لم يملك لها الإحسان دفعا. وكان يقال: العاقل يقدم التجريب على التقريب، والاختبار على الاختيار، والثقة على المقة "[20]، (الصقلي، سلوان المطاع في عدوان الأتباع،، 1995، صفحة 14)، فالحكمة تفرض عدم الإفراط في حسن النية، درءًا للخطر، وولوجا في باب السلامة.

إنّ تعمد ابن ظفر إدراج سلوانة "التفويض" في مستهل الكتاب دلالة على أهميتها: "فإذا كان غرض المؤلف تسلية الملك من خلال بناء سردي متنوّع ومكثّف؛ فإنّه يستبطن مقصدية معينة أراد المؤلف إبلاغها للمطاع في شكل سردي ممتع، وهي توجيهات للملك تساهم في مساعدته على حسن تدبير أمور رعيته، ووجوب المشورة خصوصا وأنّ السياق التاريخي المضطرب يحتم عليه ذلك"[21]. (عاقل، 2018، صفحة 204) لأن فساد الرأي يبدأ من تعدّد الشركاء، وتنازعهم، أو تغيِّيب من خبِر الأمور فعلاً. فالمَلك يسوس الرعية بحسن اختيار مستشاريه ووزرائه.

كما أنّ تخيّر الملك للبطانة الصالحة ضروري، لقوة الدولة وصلاح شؤون الرعية: "قيل يفسد الرأي بثلاثة أسباب، أحدها أن تكثر الشركاء فيه فإذا كان كذلك انتشر التدبير وبطل، والثاني أن يكون الشركاء في التدبير متحاسدين متنافسين فيدخله الهوى والبغي فيفسد، والثالث أن يملك التدبير من غاب عن الأمر المدبر دون من باشره وشاهده فإذا كان ذلك كذلك دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الفرص. ثم إنّ تدبير المسموعات مؤسس على ظنون الخبر، وتدبير المبصرات مؤسس على يقين النظر» [22]. (الصقلي، سلوان المطاع في عدوان الأتباع، 1995،، صفحة 13) الغاية من هذا النسق الدّعوة إلى التبصّر بالأمور باختيار أصحاب العلم والخبرة بطانة ومستشارين، وبناء الرأي وتأسيسه على أحداث واقعة وملموسة لا على الظن والشك. وفي ذلك إيماء من صاحب الكتاب للملك بالالتفات إليه بوصفه واحدا من خاصته.

وفي هذا السياق جاءت حكايات: "الثعلب والمفوّض"، و"قصة المرزبان"، و"الملك الأركن"، كأمثلة على إسقاطات رمزية تعكس معارضة غير مباشرة للمستبدّين، وتحذيرا من عواقب الظلم وفساد الحكم، وتفكك الدولة إن غابت العدالة.

وقد قابلت سلوانة "التفويض" بين نماذج وصور مكررة لوجوه الظلم والبغيّ من جهة، وصور للاستسلام لقضاء اللّه والتوكل عليه من جهة أخرى.

وأفضت قصة عبد الملك بن مروان/ المثال الذي آثر الشيخ ضربه للوليد بن يزيد طالب المشورة، حلا لمشكلته. لأن يكون عمرو بن سعيد وجها آخر لــ "**ظالم**" المنعوت بالبغيّ والظّلم والخيانة. في وقت كان عبد الملك بن مروان وجها آخر لــ "مفوض" الذي قابل تابعه الإحسان بالغدر ونكران الجميل.

فالثعلب بما حمله على مرّ التاريخ من رمزية المكر والدّهاء، قد حُمّل بقيمة مضافة وهي: الظّلم. "**ظالم**" هذا الاسم الذي اكتسبه بعد استيلائه على جحر مفوّض رغم ما بدر من هذا الأخير من نيّة وحرص على مساعدته في حل مشكلته مع الحيّة التي استوطنت جحره. فما كان منه أمام هذا المعروف إلا الإخلاص لعادته، ولما جُبل عليه من غدر وخيانة معهودتين فيه، مستوليا على جحر مفوّض، وأخذ ما ليس له بحق، فاستحق ما ناله من جزاء.

في الحكاية تبرّم بهذه القيمة السلبية، ودعوة إلى محاربتها والتّنصل منها؛ بوصفها تتنافى مع قيم الدّين من جهة، ومع صفات الملوك وأتباعهم من جهة ثانية. وهي قيم تفشت في المجتمع العربي فساعدت في تعميق الهوة بين الرعية، وضرب البنية التحتية لأسس الدولة وركائزها.

ويتجلى النسق السياسي في الدعوة إلى التّحلي بالصدق مع الرعية، والوفاء بالعهود والمواثيق. إنّ قدرة "**بهرام**" على إثبات الجدارة والحنكة السياسية مكّنه من إقناع شعبه بصدقه، وقدرته على حماية المملكة. ومن ثم استرداد تاج الملك بعد اختبار عظيم. وتوزيع الأموال والعطايا على الرعية، ليحصل الرضا والقبول به ملكا عليهم.

أظهرت شخصية الوزير في عدد من السلوانات أن الحكم لا يستقيم بقوة السيف وحدها، بل يتطلب حنكة، وحسن تدبير، واستعانة بالبطانة الصالحة. فالممالك تنهض على التخطيط، وتسقط بالغرور. في هذا المعنى إشارة إلى أن الحاكم، مهما علا شأنه، يظل محتاجًا إلى من يفهم ما يجهله، وينبّهه إلى ما قد يخفى عليه، وإلا أوقعه سوء التقدير في الهلاك.

لقد تسبب الشرخ الذي استوطن الذّات في معاناتها وهي تحاول التوفيق بين إرادتها وإرادة الآخر؛ حيث: «تنعكس ممارسات الأنساق الاجتماعية والثقافية القارة من داخل الذّات نفسيا لتتحول من الخارج إلى الداخل ومن العام إلى الخاص كدلالة على مدى سطوة هذه الأنساق وسلطتها عليها وعلى عدم مقدرتها في التخلص منها لأنّها إن فعلت ستكون نتيجة انكسارها، بينهما يظل الآخر على هيمنته وتسلطه غير فعال وغير راض باستقلال الذّات اجتماعيا وفكريا ونفسيا عنه» [28]، (واصل، 2013، صفحة 13) وهو ما أومأ إليه ابن ظفر ضمنيا. فمعاناة الذّات من التهميش جعلها تبحث لنفسها عن موطئ قدم ضمن هذا الزخم السوسيو ثقافي. لعل الكاتب قصد نفسه أولا وهو من يعاني القلة، فقد: "كان راتبه دون الكفاف"، ما جعله يرغب ضمنيا أن يكون مستشارا للملك، وأحد الذين يؤخذ برأيهم. لعل هذا هو المقصد الأساس من تأليف هذه السلوانات، التي كان ظاهرها الترويح عن الملك وتسليته بهذه القصص ذات العبرة والفائدة.

عمل ابن ظفر عبر حديث صريح ومضمر على توظيف رموز حكائية مختلفة، راوح فيها بين ما هو حقيقي وما هو خيالي، إلى بيان مفاتيح صلاح الحكم، عبر نسق سياسي: تجلى في: "أن يزدجرد بن بهرام سأل حكيما من الفلاسفة ما صلاح المُلْك؟ فقال: الرفق بالرعية وأخذ الحق منها بغير عنف. والتودد بالعدل وأمن السبل وإنصاف المظلوم. قال: ما صلاح المَلِك؟ قال وزراؤه إذا صلحوا صلح"[32]، (18Espace_réservé صفحة 65) ما على المَلِك إلاّ استعمال هذه المفاتيح تحقيقا للعدل والسلامة.

لقد تجاوز سرد تلك الحكايا التي تنوَّعت مصادرها وأماكن حدوثها، مسألة الإخبار وتحقيق الغاية التوعوية إلى الجانب الإمتاعي، من خلال ما حواه النّص من أساليب عكست قدرة المؤلف، وما زخر به عصره من صور وأساليب في الكتابة. لتكون السلوانات: «عملا قوليا لا يهدف إلى الإعلام – وإن كان ذلك هدفه الأصلي الأول الذي منه ولد- وإنّما يهدف إلى الإمتاع بنقل الأقوال المأثورة شعرا ونثرا وإدراجها في مساق سردي يثبت من خلاله الراوي سطوة الخطاب على الخبر وصيرورة الكلام المأثور في كلام فني سمته الاقتصاد والتركيز والبساطة»[33]، (القاضي، 1998، صفحة 692) فجاء نصه حافلا بالتوريات السياسية التي عبرت عن وجهة نظر حصيفة من رجل خبر الحياة، لكنها لم تعطه ما يليق به من قيمة، فعمل على تحريها ومحاولة إبرازها للحاكم لعله يقدِّرها، من خلال طابع أدبي مميز عكس مقدرةً في التناول وطرح مثل هذه القضايا.

- النسق الاجتماعي

تجلت الأنساق الاجتماعية في **سلوان المطاع** بوصفها شبكة من القيم والعلاقات التي تحكم السلوك الإنساني في المجتمع. نجح ابن ظفر الصقلي في تضمينها عبر الحكايا والرموز بشكل فنيّ مؤثر، يخاطب السلطة والرعية في الآن ذاته. وقد تجاوز الخطاب الاجتماعي الذي يبثه الكتاب الظاهر الحكائي، ليعكس رؤية المؤلف للعلاقات الاجتماعية المُثلى بين الحاكم والمحكوم، وبين أفراد المجتمع أنفسهم.

فقد تكرر في معظم السلوانات تصوير الوزير على أنه شخصية مثقفة، حكيمة، متبصّرة، تملك مفاتيح العلم والحيلة، وقادرة على التصرّف الرشيد في أحرج المواقف. ما يعكس نسقًا اجتماعيًا يُعلي من شأن الخبرة والمعرفة بوصفهما ركيزتين أساسيتين في حسن تدبير شؤون الحكم، حيث عمل وزير سابور في تطبيب الناس وعلاجهم، حتى ذاع صيته. متوسلا هذه المهنة ذريعة لدخول بلاد الروم مع سابور: "كانت فطنة الوزير أثقب من فطن الملوك، لأنّ الملوك أبدا يتفقهون في سياسة من دونهم من الرعايا لا غير، والوزراء يتفقهون في سياسة الملوك وسياسة الرعايا، فهم أشبه شيء بالجوارح، التي تصيد وتفترس ويصيدها أيضا جوارح أشد منها. فهي أعرف الجوارح بمكايد الاحتراس، ومكايد الاكتساب"[34]. (الصقلي، سلوان المطاع في عدوان الأتباع، 1995، صفحة 33) في هذا القول إعلاء لدور المستشار الحكيم، وتلميح إلى أنّ صيانة الحكم لا تكون إلا ببطانة صالحة مُلمَّة بشؤون الدولة ومصالح الناس، وهذا ما كان عليه وزير سابور، الذي استخدم مهنة الطب وسيلة للولوج إلى أرض الروم، في ضرب من الحيلة الممزوجة بالعلم.

ولما كان العلم أداة للترقية الاجتماعية، فإنَّ الرَّفع من شأن المتعلّم، وتقدير الساعي لتحصيل المعرفة هو نسق اجتماعي مثّله عديّ بن يزيد العبادي التميمي، الذي ذهب رسولا إلى ملك الروم فلم تلهه مهمته السياسية عن اقتباس العلوم التي حوتها كتبهم. فعمل كاتبا ومترجما لملك الفرس. فالصبر سبيل تحقيق الهدف وإن طال الانتظار، وهو ما ينبغي على الملك/المطاع إدراكه، وبخاصة بعد أن أصبح الحرص على طلب العلم، والسفر لتلقيه إلى أبعد مكان سمة بارزة في هذا العصر، بفعل التطور والانفتاح على الآخر. أراد ابن ظفر من خلال هذا الطرح دعوة الطبقة الحاكمة إلى تشجيع العلم، وتيسير سبله لكافة أبناء الشعب، لا قصره على النخبة.

تبدّت حياة البذخ والرفاهية التي كان يعيشها قيصر، من خلال فخامة المجلس، وأواني الأكل والشرب، وهو ما احتوى على نسق مضمر مفاده ضرورة الحذر من الخصم، وتوقع الأذى من كل صوب وفي أيّ وقت: «كان قيصر لما بلغه ما أيد الله تعالى به سابور من لطف الفطنة، وعظم الهمّة وشدة البأس في حال صباه، حذره حذرا شديدا فبعث إلى حضرته بمصوّر ماهر فحكى صورة سابور في مجلسه وحال ركوبه وغير ذلك من ضروب الأحوال التي شاهده المصور عليها وقَدِم بتلك الصور إلى قيصر. فأمر قيصر بأن تصوّر تلك الصور على فرشه وستوره وفي آلات أكله وشربه فصنع ذلك على ما أمر به ورسمه ... ثم أتوا بالشراب في كؤوس البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم» [35]، (Espace_réservé19صفحة 30) فالأيام قد تفاجئ الإنسان، وتصدمه بما لم يتوقعه، لذا وجب

الإعداد لها، والتفكير بحيل للنَّجاة من أي خطر محدق. ليبقى سوء الظن حكمة، وبابا من أبواب الملوك وجب ولوجه.

لقد كشفت قصة القيصر وفراشه المزخرف بصور سابور نسقًا خفيًا من الحذر الدائم والتوجُّس من الآخرين، وهو ما يعكس قلقًا اجتماعيًا من تبدّل الأحوال وتقلب الموازين. فالحياة الاجتماعية مهما بلغت من الترف والراحة تظل مهددة بالخطر. يُفهم من هذا أن المجتمع المترف لا يعني مجتمعًا آمِنًا، بل يجب أن يكون متأهّبًا دومًا، هذا من صلب الأنساق السياسية والاجتماعية معًا.

كما أن الرضا بقسمة اللّه، وحمده على نعمه من الأنساق الاجتماعية التي دعا إليها ابن ظفر. فعدم الرضا قد يُخسر المرء رغد العيش وهو ما تبدى من خلال قصة "**عين أهله**" الذي ظن أن ما يلاقيه هو قمة المعاناة والضّياع إلى أن سمع قصة العجوز: "قال للعجوز: ما لك لا تؤنسينني الليلة بحديثك، ولا جلست إلي. فجلست إليه وقالت له: أما كان لك في رؤيتي قطعاء جدعاء مشوَّهة عوراء سيئة الحال ما يحملك على التأسي والتسلي فاحمد اللّه سبحانه واشكره على سلامة نفسك ومعافاتك من بلاء، هو أعظم من بلائك حتى قلت هان على الطليق ما لقي الأسير. ولو اعتبرت باطن حالي بما ظهر لك منها لعلمت أنّ أسري أشد من أسرك. فاستمع إلي أحدثك حديثي» [36]. (Espace_réservé20صفحة 42) فالسجن هو ما تعيشه الذّات وهي مقيَّدة بأغلال العادات والتقاليد، والأحكام الظاهرة والمتسرعة، قبل أغلال الحديد والحبس الذي تعانيه هذه الشخصية وغيرها.

برز في قصة الأسير وعجوز الحي نسق اجتماعي يدعو إلى التَّأسي، والشكر على النعم، ومقارنة البلاء ببلاء الآخرين. فالسجن الحقيقي هو سجن النفس بقيود النظرة الضيقة، والعجز عن التأمل في معاناة الآخر. وقد عكس هذا التوجه رغبة ابن ظفر في ترسيخ قيَم القناعة، والتفكّر في أحوال الناس، وهو نسق يهدف إلى إحداث توازن في العلاقات الاجتماعية، ومنع التمرُّد الناجم عن المقارنات الظالمة.

لم يدرك الأسير أن المصاب مهما عظم فهو هيّن أمام مصاب الآخرين. فالتَّأسي بهم، والصبر وحده مع حسن التدبير ما قد يغيّر حاله، ويبلغه مراده: «كأن النص الأدبي يعيد صياغة الثقافي ولكن من باب المسكوت عنه المطمور والمغيّب في تاريخنا الاجتماعي الثقافي» [37]، (الحرز، 2005، صفحة 124) على المرء أن يحمد اللّه على ما هو به من نعم؛ فالغزال لم يرض بعيشة النعيم، فقراره بالالتحاق بأشكاله أوقعه في الأخدود رغم تحذيرات الظبي، وأوقع هذا الأخير في أسر الصياد. فالاستهانة بالعواقب وسوء التقدير يوقع صاحبه في الخسران، ويعرِّض حياته وحياة بلده/مملكته إلى الخطر ويجعلها مطمعا للأعداء.

لقد دعا ابن ظفر ضمنيًا إلى إعداد الرعية لتكون سَنَدًا حقيقيًا للحاكم، فمن خلال تعميم التعليم يكون الحاكم العادل قد استثمر في شعبه، لا في حرسه وجيشه فقط. كما طرح على لسان "بابك" نسقا اجتماعيا مفاده أنّ الملك خادم لشعبه قبل أن يكون سيدًا عليهم، محذّرًا من استغلال السلطة واحتقار الرعية، لأنهم في النهاية هم من يصنعون أو يُنهون الملك.

- النسق الديني

حضر النسق الديني في **سلوان المطاع** حضورًا عميقًا متغلغلًا بين طيّات السرد والمواقف؛ حيث تجاوز طابعه الوعظي المباشر ليُضمر دعوة إلى التمسك بالإيمان، والتسليم للّه، وطلب النصر من عنده. لم يكن هذا النسق مجرد خلفية ثقافية للنّص، بل شكل جزءًا من البناء الرمزي الذي يُشخّص علاقة الإنسان/الحاكم بالخالق وبنفسه، وبالناس من حوله. عبّر ابن ظفر من خلال النَّسق الديني عن رؤيته للسلطة، والفتنة، والخلاص، والعدل، بوصفها مفاهيم دينية قبل أن تكون سياسية أو اجتماعية.

تجلى على امتداد السلوانات وتعدد عناوينها أنساق دينية، تمثلت في الدّعوة إلى التَّحلي بقوة الإيمان وشدة التعلق باللّه. ففي سلوانة "التفويض" ذكَّر الشيخ عبد الملك باللّه، وبضرورة تسليم الأمر إليه قائلا:« إني لا أقبل صلة ذاهل فدعني وربي الذي لا يذهل عني ولا يبخل هو حسبي. فلما سمع عبد الملك مقالته علم فضله في دينه وقال له إنّي أنا عبد الملك فاعتمدني وارفع إليَّ حوائجك. فقال له الشيخ: وأنا أيضا عبد الملك فهلم نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت له عبدان. فانطلق عبد الملك وعمل برأي الشيخ فنجح فلما سمع الوليد بن يزيد ما أخبره ذلك الكهل استرجح عقله، واستظرف أدبه، وسأله عن نفسه فتسمى له وانتسب. فلم يعرفه الوليد. فاستحيا منه وقال: إنّ من جهل مثلك في رعيته لمضيع. فقال الكهل: يا أمير المؤمنين إنّ الملوك لا تعرف إلا من تعرف إليها ولم يفارق أبوابها. فقال له الوليد: كلا واللّه فلا توسعنا عذرا لا نستحقه. ثم أمر له بصلة معجلة وعهد إليه في ملازمته ببابه عهدا، فكان يستمتع من أدبه وحكمته إلى أن كان من أمر الوليد ما كان» [39]، (Espace_réservé21 صفحة 17) في السلوانة دعوة ضمنية للحاكم إلى الانتصار بأهل الرأي والدّين، ممن ثبتت جدارتهم كما يُستنصر بأصحاب السيف والهمم العالية. لما كان ابن ظفر/الكاتب من خاصة الملك وجب أن يقبل مشورته، مثلما قبل مشورة الكهل الذي كان سببا في نجاة ملكه من الضياع.

ولعل من أبرز التجليات الدينية في **سلوان المطاع** الاستشهاد بموقف الخليفة عثمان بن عفان رضي اللّه عنه زمن الفتنة، وكيف جعل من الصبر سبيلًا وحيدًا لمواجهة التمرُّد والعجز عن ردّ الشبهة.

ويندرج أيضا ضمن الأنساق الدينية الانتصار للّه ولدينه، يظهر ذلك في دفاع الوزير النَّصراني عن الشيخ المؤمن، متذرعا بالخوف على الملك من غضب رب الشيخ: «لقد أريت الملك وجه نصحي وإشفاقي عليه بما كان مني. فإنّ الملك لما أراد أن يسطو على الشيخ أخبره الشيخ أنّ اللّه ربه. فخفت على الملك أن يبطش به رب الشيخ. وليس يقوم لبطشه شيء. فقال الملك للوزير: وهل للشيخ رب غيري؟ فقال الوزير ألم يره الملك شيخا وهو شاب. فهل كان هذا الشيخ قبل أن يولد الملك لا رب له؟ فقال الملك: بل كان أبو الملك ربه. فقال الوزير: فما بال المربوب بقي بعد هلاك ربه؟ فقال الملك للوزير: لقد قدحت في كبدي بزند غير صالدة ولقد علمت الآن أنّه يجب أن يكون للملك والمملوك رب لا يزول. فهل تعرفه فتدلني عليه؟ فقال الوزير: نعم إنّي أعرفه»[42]. (Espace_réservé 24 صفحة 94) حملت خطوة الدفاع عن المؤمن غاية بعيدة من الوزير، وهي

دعوة الملك للإيمان باللّه، بطريقة سلسلة، فيها كثير من الذكاء والفطنة؛ خوفا من غضب السلطان وسُخطه، عبر دعوته للتفكير والتأمل، وصولا إلى جوهر الحقيقة.

لقد كشف هذا المشهد عن الانتقال السلس من الحجاج العقلي إلى التبليغ الديني، بأسلوب ذكي يُظهر الوزير ناصحًا مخلصًا، يضع الملك وجهًا لوجه أمام حقيقة التوحيد، دون وعظ مباشر، بل بالحوار والتساؤل المنطقي الذي يقود إلى اليقين.

ـ النسق الأدبي

أضفى صاحب سلوان المطاع على نصوصه بعدًا أدبيًا حكائيًا، جعل خطابه أكثر **سردية وانزياحًا لغويًا**؛ فهو لا يكتفي بسرد الصراع، بل يُقدّم من خلاله نماذج سلوكية مضادة، ترسم ملامح مجتمع مأمول، يقوم على العدالة، والمسؤولية، والوعي الأخلاقي، وهو ما أوضحه في مقدمة كتابه قائلا:« هو كتاب ... عمدت فيه إلى أمثلة استأثر خواص الملوك ببضاعتها، ومنعتهم الغيرة عليها من إذاعتها، فتوسعت بالتعبير بألفاظي عنها، والتحبير بعلمي لها، والتفنن بقوى فطنتي فيها، توسعا لا يحظره شرع، ولا ينبو عنه سمع. حتى إذا عادت أهلتها بدورا رائعة... نفثت في صورها أرواح الأخلاق الزكيّة، وكَسوت جُسومها حلل الآداب الملوكيّة. وتوَّجتُ رؤوسها بتيجان الهِمم الأدبية» [44] (الصقلي، صفحة 4). وهو تصريح ضمني بأن الكتاب لا يُكتفى فيه بالتصوير، بل يحمل رسالة إصلاحية، تدعمها الأنساق التي تظهر من خلال تلك الثنائيات المتضادة.

عمد النّص بجماليته الأدبية إلى إعادة تشكيل الواقع رمزيا؛ فالحيوان المتكلم، والشيخ الغامض، والملك الحائر، والمملوك الساحر، كلها صور رمزية تنأى بالحكاية عن الابتذال، وتقرّبها من الفن. فقد استخدم الكاتب **التكثيف اللغوي في حكاياته**، فالجملة القصيرة لديه محمّلة بدلالات عميقة، يمكن أن تُقرأ على أكثر من مستوى؛ حيث يجتمع المدح بالنقد، والتذكير بالواجب مع إشارة ضمنية إلى قصور الحاكم عن إدراك طاقات رعيته.

كما منح التناوب بين الأسلوب السردي، والخطابي، والحواري، النصّ **مرونة أسلوبية**، وأخرجه من الرتابة، فجاء نابضًا بالحياة، مفتوحًا على التأويل. ولما كانت جمالية النص لا تنفصل عن ثقافته، فقد اعتمد ابن ظفر تناصّات قرآنية وأحاديث نبوية، وأمثال سائرة، وصيغ مأخوذة من تراث الفلاسفة والحكماء. أثرى هذا التداخل النّص ومنحه عمقًا ثقافيًا. كما أضفى عليه مشروعية خطابية تُقربه من المتلقي وتُعزّز سلطته المعنوية.

واشتغل صاحب **سلوان المطاع**، على **التورية، الرمز، والتناص القرآني والحديثي**، عبر إخفاء دلالاته في بنى سردية تحتاج إلى قارئ تأويلي لاستجلاء مقاصدها.

كما استثمر ابن ظفر الموروث الشعبي والأسطوري في بناء الحكايات، لا بوصفها محاكاة لحكاية تقليدية، بل كإطار رمزيّ يُخفي وراءه نقدًا مباشرًا للواقع السياسي والاجتماعي. فكل حكاية تُخفي "درسًا"، وكل شخصية هي "قناع" لفكرة، أو فئة اجتماعية، أو سلوك سلطوي.

فالملك الظالم ليس فقط شخصية سردية، بل يُمثّل نموذجًا تكراريًا للاستبداد. والمتملّقون ليسوا مجرّد شخصيات هامشية بل يرمزون إلى فساد مؤسسة الحكم من الداخل. لتصبح التورية والتقابل والسخرية والرمز أدوات لخلق **خطاب بديل**، يُعارض الخطاب الرسمي السائد.

وقد تجلت البراعة السردية للكاتب في قدرة الحكاية على **تمثيل المهمّش والمسحوق** داخل البنية السلطوية، في حين تُظهر الحكايات المفَارقة الأخلاقية بين الظاهر السياسي والباطن القيمي.

وتميّزت حكايات **سلوان المطاع** عن باقي النصوص الأخرى بكونها تعكس أيضًا **صوت الكاتب المهمّش**، الذي يعيش الإقصاء والنفي (كما يُفهم من سيرة ابن ظفر). فليست النصائح في كتابه مجرد أفكار خالصة، بل هي معاناة ذاتية، تظهر في التوتر بين **الهامش والمركز**، وبين سلطة الكتابة وتهميش الفعل السياسي. لذلك يُقرَأ الكتاب بوصفه تعبيرًا عن تجربة خاصة، تُوظف فيها الحكاية ليس فقط بوصفها خطابًا إصلاحيًا، بل أيضًا **كأداة للتنفيس عن المقموع السياسي والاجتماعي**.

إنّ في توسل الكاتب لما يمكن تسميته **بأسلوب التناظر** غايته إشراك القارئ وتأهيله لاستبطان ما حواه النّص من معاني. فتوظيفه لشخصية الشيخ و: «المهمة التي أنيطت بها، هي التي أخرجت الحكاية من آلية التاريخ الجامدة، إلى حيوية الخلق والتخييل، وهذا أيضا ملمح من ملامح الحكاية الشعبية: فمن المألوف في الحكايات أن يظهر (للبطل) في ساعة يأس رجل شيخ يقدّم له العون. أو حيوان خيّر ينقذه من مأزقه. وكان أن ظهر الشيخ، وحسم الحيرة التي كانت مسيطرة على الوليد الذي لم يستطع أن يحقق المعرفة اللازمة التي يستطيع بها أن يخرج من أزمته مع ابن عمه (الذي يمثل بالنسبة إليه القوى الشريرة). فتوسم الإنقاذ في الخبرة والحكمة اللذين تجسدا له في كل رجل عجوز (يمثل القوى الخيرة) وهذا عينه عنصر الحكاية الشعبية هنا: فمؤلف الحكاية أفرغ في هذا العنصر تجارب اللاشعور الذي يغلب على الوجدان الإنساني، تماما كما في الأحلام» [46]. (يوسف م.، جماليات السرديات التراثية دراسة تطبيقية في السرد العربي القديم، دت، صفحة 26). لقد استطاع ابن ظفر توظيف آلياته اللغوية والأسلوبية وتسخيرها خدمة لغايته النصحية. فما أدرجه من نماذج قصصية وشخوص مختلفة ينم عن معرفة ودراية، وفي الآن ذاته على اطلاع وتميّز. منبها الملك/المطاع للاستفادة من أهل العلم والمعرفة وهو واحد منهم، ومن تجارب غيره من الملوك في تعاملهم مع الخاصة والعامة، حماية لنفسه، وحفاظا على ملكه.

ـ النسق المعرفي

يشير مصطلح (النّسق المعرفيّ): «إلى وجود نظام كليّ ينتظم البنية النّصّيّة، بحيث تحمل رؤية الكاتب عبر توظيفه مجموعة من المعارف داخل هذا النّصّ، فيصبح النّصّ دالّا ومدلولا في الوقت ذاته، فثمّة دالّات لغويّة ولفظيّة تحيل القارئ إلى ما هو خارج النّصّ، كما أنّ البنية النّصّيّة تجعل المعنى مرتكزا على تلك الدوالّ، ليتبادلا التّأثُّر والتَّأثير في عمليّة التّلقي» (كويزيل، صفحة 411). يشكل النسق المعرفي الإطار العقلي والثقافي لتفكير الإنسان ويُكوِّن على أساسه موقفه من الدين، الأخلاق، السياسة، الطبيعة، الإنسان، وغيرها. تظهر الأنساق المعرفية العقلية بشكل واضح وجليّ في البنية والفكر الذي طرحه كتاب "سلوان المطاع".

ـ النسق العقلي

تخطى ابن ظفر وصف سلوك الحاكم أو الرعية، للتركيز عما يترتب من نتائج اجتماعية وسياسية وأدبية عن صفات مثل الصبر والتأسي...، فقد يؤدي الصبر وتحمُّل التقصير والظلم في الأوقات الصعبة إلى استقرار الحكم وتجاوز الوطن للأزمات، فالاحتكام إلى العقل ووزن الأمور وترجيح المصلحة العامة سيوصل الجميع لبر الأمان.

تجاوزت الغاية من توظيف الحكايات الترفيه والتسلية، والمتعة الجمالية، إلى حث الحاكم على التأمل والتبصُّر في محتواها لأخذ العبرة والاستفادة من أخطاء تلك النماذج المسرودة.

جاء تقسيم السلوانات (التفويض، التأسي، الصبر، الرضا، الزّهد) من منظور موضوعي؛ إذ تحيل كل سلوانة على فضيلة أو قيمة عقلية تقوم عليها بنية فكرية للذّات سواء أكانت حاكمة أم محكومة. كما أظهرت السلوانات بعدا فكريا يحتكم إلى العقل في ترتيب الموضوعات، فتوظيفه للنصوص القرآنية والأمثال... يتناسب ويتماشى بصورة جيدة مع هذا الهدف.

ـ النسق الرمزي

تجلى في الكتاب بنية ثقافية رمزية عميقة، تُعبِّر عن تصورات جمعاوية تجاه هذا النّوع من الأنساق، فقد استثمرت الأمثال، والحكايات الرمزية، والصور البلاغية لتأطير العلاقة بين الحاكم والرعية؛ حيث تتجلى منظومة ثقافية تنحاز إلى السلطة على حساب التابع، مُسقِطة على السلوك السياسي بعدا أخلاقا، يبتعد شيئا ما عن العقلانية.

من أمثلة الصور الرمزية قوله: "الملك إذا لم يحذر ممن يُقربهم، كالذي يُلقي سيفه في يد خصمه" فضعف الحاكم وعدم قدرته على ضبط زمام الأمور، والسماح لمن حوله بالتَّحكم في قراراته، سيجعل السلطة أداة قاتلة في يد عدوه.

كما شُبه الحاكم في أكثر من موضع بـ "الأسد"، "السيف القاطع"، "الظل الذي تستظل به الرعيّة"... ما يضفي عليه صورة من الهيبة والقداسة.

لما كانت للخيانة والغدر والخسة والخديعة صورا نمطية محفورة في المخيال الشعبي العربي والإسلامي، فقد نجح ابن ظفر في استدعاء هذه الصور، واستثمارها في التعبير عن خيانة الأتباع، عبر تقديمهم في هيئة حيوانات مخادعة وماكرة مثل: "الثعلب"، "الحية"، الذئب". فالحكاية الرمزية هنا كانت رمزا لغدر وخديعة التابع.

شكّل النّسق الثقافي الرمزي عند ابن ظفر خلفية مضمرة أعادت صياغة تصورات تقليدية حول الحاكم والتابع، تبرز ظلم الحاكم، وتسلطه في صورة رمزية ذات طابع ثقافي أخلاقي. فحتى وإن بدت صورا مكررة من التراث القصصي، فإنّها تحمل خطابا سلطويا مضمرًا يخفي وراءه سياسة الخوف في عباءة الوعظ والحكمة.

- خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- لما كان النسق في النقد الثقافي بنية دلالية مضمرة، تختبئ وراء المظاهر الجمالية للنص، فإنّ الكشف عن المعاني غير المعلنة والمقصاة من الخطاب الرسمي لا تُتِيحه إلا القراءة التأويلية. لهذا يُفرّق النقّاد بين "النسق الظاهر" الذي يُعبّر عن القيم المؤسّسة والمقبولة، و"النسق المضمر" الذي يتضمن توترات أو تناقضات تُفضي إلى مساءلة هذه القيم ذاتها.

- تجلى النسق السياسي في سلوان المطاع بوصفه خطابًا إصلاحيًا يتبنى السرد قناعا، للكشف عن رؤية الكاتب لشروط الحكم العادل. مركزا على أهمية العلم، والبطانة الصالحة في إدراك هذه الغاية. والمميز في هذا النص أنّه لا يهاجم السلطة، بل يعيد تأهيلها قيميًا وفكريًا، مقترحا نموذجًا سياسيًا مثاليًا قائمًا على الفطنة، العدالة، والحذر، هي مبادئ تتجاوز زمن ابن ظفر لتظل صالحة لكل حكم يسعى للاستمرار والثبات.

- نجح ابن ظفر في المزاوجة بين غايتين: إحداهما أدبية تمثلت في الإمتاع والتسلية، وثانيهما سياسية هدفها حث الملك على ضرورة طلب المشورة؛ لحسن تدبير أمور رعيته، في ظل ما تعيشه البلاد من اضطراب.

- لا ينفصل النسق الديني في سلوان المطاع عن باقي الأنساق، بل يتقاطع معها ليضفي على النّص بعدًا روحيًا يُذكّر بالمسؤولية الأخلاقية للحاكم، وبالمرجعية الإلهية لكل سلطة. استطاع ابن ظفر أن يرسم هذا التصوّر بطريقة رمزية، مقدما خطابا سرديا إصلاحيا يُعيد ربط السلطة بالعدالة الإلهية، والتقوى، والصبر، والفطنة في الآن ذاته.

- تجاوز ابن ظفر في كتاب سلوان المطاع دور الواعظ الناصح، ليكون أديبا متمكنا يجمع بين الحكمة والسرد. استطاع استثمار تقاليد الحكاية العربية في خدمة مقاصده. فكان الحكي عنده أداة إقناع ناعمة، تحمل بين طيّاتها صرخة كاتب مُلمّ بأحوال السياسة والمجتمع، ومدركا لدور الأدب في التوجيه والإصلاح .كما كان وسيلة للتعبير عما تعانيه ذات الكاتب من تهميش.

- توسّل الكاتب الموروث الشعبي إطارا رمزيا ونقدا لواقع سياسي واجتماعي؛ حيث أظهرت الحكايات المفَارقة الأخلاقية بين الظاهر السياسي والباطن القيمي. كما جاء نصه ثريا بالتناصات القرآنية والأحاديث النبوية، والأمثال السائرة، التي دعمت رأي المؤلف، ومنحته عمقًا ثقافيًا قرّبه من المتلقي.

قائمة المراجع

- الكتب

1- إسماعيل، يوسف. (2008). محكيات السرد العربي القديم مقاربة لأدبيات العلاقة بين السلطة والمثقف دراسة في البنية الحكائية لحكاية الأسد الغواص، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

2- ايفانكوس، خوسيه. وماريا، بوثويلو. (1991). نظرية اللغة الأدبية، تر حامد أبو أحمد، د ط، مكتبة غريب، مصر.

3- الحرز، محمد. (2005). شعرية الكتابة والجسد دراسات حول الوعي الشعري والنقدي، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

4- الرويلي، مجان. والبازعي، سعد. (دت). دليل الناقد الأدبي، دط، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان.

5- الصقلي، ابن ظفر. (1995). سلوان المطاع في عدوان الأتباع، تح أحمد محمد دعج، ط1، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

6- عاقل، فؤاد. (2018). السيرورة التأويلية للمعنى دراسة نص سردي تراثي. ضمن كتاب التأويل بين الفلسفة والأدب، (الملتقى الأول للباحثين في مراكز دراسات الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، منشورات مخبر التأويليات والدراسات النصية واللسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان.

7- الغدامي، عبد اللّه. (2005). النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط 3، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان.

8- الفيروز أبادي، محمد مجد الدين بن يعقوب. (2005). القاموس المحيط، ط 8، مؤسسة الرسالة، بيروت.

9- القاضي، محمد. (1998). الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، ط 1، لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

10- قنسوة، صلاح. (2007). تمارين في النقد الثقافي، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

11- كويزيل، ايديث. (1993). عصر البنيوية، تر جابر عصفور، ط 1، دار سعاد الصباح، الكويت.

12- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (1990). لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 6.

13- واصل، عصام. (2013). في تحليل الخطاب الشعري دراسات سيميائية، ط 1، دار التنوير، الجزائر.

14- يقطين، سعيد. (1997). قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان.

15- يوسف، عبد الفتاح. (2003). القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر.

16- يوسف، مي أحمد. (دت). جماليات السرديات التراثية دراسة تطبيقية في السرد العربي القديم، ط 1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان.